كان وقبائلها «4»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان الظلام
يتلذّذ بارتشاف الشاي المنكّه بالنعناع،
ويغرق في تأملاته الشاردة..
يؤلّف روايته الجديدة
ويبحث عن أبطالٍ تافهين
يقودون أحداث المرحلة..
يفتّش عن شخصية بلهاء
تشوّق القرّاء بغموضها الساخر.

كان الظلام
يتلصّص على حسناء الفكرة الجهنّمية،
ويمنّي نفسه بقبلة ساخنة،
وبمشهدٍ سينمائيٍّ، تمنعه الرقابة.

كان الجهل
يعاقب سكّان قريته بقطع الطريق
إن أدلوا بأصواتهم الكاسحة
لمرشّح الحزب الحالم
في انتخابات الربيع.

كان الجهل
يحرص على أناقته الكاملة،
يذهب بزهوٍ إلى سهرات السقوط العارمة،
يتكلّم بغرورٍ عن فحولته الدرامية،
وعن أرصدته المزدهرة
وأتباعه المدجّجين بالجغرافيا.

كان الجهل
يحشد طيوفه المتعجرفة
ويسير بخطى منغّمة
نحو برلمان الفراغ
مطالباً باعترافٍ شرعي
لوجوده الماجن في الأخبار العاجلة.

كان الجهل
ينام أحياناً في الحدائق العامة
تعبيراً عن تضامنه مع تجّار السلاح،
وأحياناً يزعج المشاة
باحتجاجاته المملّة ضد غياب ملهمته الحسناء،
وصراخه الدائم من قرصات الأفكار.

كان الصمت
يخلع حكمته، وينضمّ إلى مسيرةٍ صاخبة
مطالباً بحقّه في الحياة
وفي التعبير عن طموحاته الموءودة.

كان الصمت
يرسب دائماً في مادة التعبير
ويفشل دوماً في التفوق
لأن النظام المدرسي الموسوس
يحرّم رسم الأجنحة
والكتابة بأبجدية الحرية.

كان الصمت
يحتجّ على تهميشه
وتأخير حقوقه الشرعية..
يندّد بالتمييز الطبقي ضده
وحرمانه من المواطنة الكاملة.

كان الصمت
يتمرّد على شيخ قبيلته..
يداعب هيبته الشاحبة،
ويسخر من شجاعته التراثية.

كان الخراب
عقب كل صفقةٍ، يتجشّأ أرباحه،

كان الصمت
ينفي حكمة أسلافه
ويتّهم جميع الأنظمة
بترويج الشائعات ضده..
يتبرّم من تمدّد أطراف الملل
فيتسلّى بتربية الصدى
ومضغ اللبان بصورة مستفزّة للنظام.

كان الخراب
يتنكّر خلف أقنعة كثيرة، وجميلة..
يخطب ودّ البسطاء بلباقة عذبة،
ويستعرض محفوظاته الدينية،
ويتقدّم صفوف الأعمال الخيرية.

كان الخراب
يطوّر نفسه إلكترونياً،
ويشفّر خططه الجهنّمية،
يتزوّد بالتقوى وسمات النوايا الحسنة
ويكثّر من نفسه الأمّارة باللهو/الحرب،
يسرّ للشائعات بكساد السوق.

كان الخراب
يقيم حفلة ساهرة لأصابعه..
يكافئ نفسه بحفنة حسناوات
وبساقية نبيذٍ معتّق،
وبنهرٍ من عسل اللذّة المصفّى
من شوائب المماحكة السياسية.

كان المبتدأ
يغتال خبره بدمٍ بارد
ويبعث برقية عزاءٍ إلى ذويه،
ويدعو الجهات المختصّة إلى تتبُّع الجناة
وتقديمهم إلى ساحة القضاء.

كان المبتدأ
يشنق الأفعال الرخوة
بحجّة الأمن القومي،
ويعمّم قوائمه السوداء على منافذ الحدود
كي لا تفر الظروف..
ويمنع نون النسوة من التبرّج
والاختلاط بالأسماء المشبوهة.

كان المبتدأ
يضمر الحقائق المتكاملة،
ويتّهم حزب سيبويه
بنشر الفوضى والتأويلات المرجفة،
وتسميم الكلمات بالمعاني الضالّة
وجرّ حياد الحروف إلى التهلكة.

كان المبتدأ
يحتجب عن جمهوره ومريديه
ويتنسّك في صومعةٍ لا إعراب لها،
وينام ملء زهده.

كان المبتدأ
يتأخّر عن صفوف الجماعة،
وينسحب من عجّة السفسطائيين،
ويذهب إلى نفسه
حالماً بجملةٍ خاليةٍ من مكر الأحزاب..
وبهتافٍ عابقٍ بالوطن.

● مقاطع من نص طويل

إعلان